

اسم المادة: الموت

من سلسلة: رحلة إلى الدار الآخرة

لفضيلة الشيخ: غريب رمضان

حياة

Way2allah.com



إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: الموت
من سلسلة: رحلة إلى الدار الآخرة
لفضيلة الشيخ: غريب رمضان
رابط المادة:



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أيها الأحباب، حقيقة لا مفر منها، ومصيرٌ محتوم، انتهاء الأجل وانقضاء هذه الحياة بالموت، الذي هو فجأة تَسكُن الجوارح، ويَسكُن البدن، وتفارق الروح إلى بارئها وخالقها سبحانه.

هذه الحقيقة الحتمية التي لا مفر منها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" الرحمن٢٦:٢٧، وقال الله –عز وجل– أيضًا: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ" الزمر: ٣٠.

فإذا كان الموت هو نهاية الأنبياء والرسل، ونهاية الأفاضل أفضل الخَلق الأنبياء والرسل، فماذا عنا نحن؟ فلقد مات رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وكلنا سوف يموت، ولو كان لأحدٍ الخُلد لكان للنبي –صلى الله عليه وسلم–.

عقيدة، عقيدة المؤمن أن نهاية حياته الموت، وهذه الحقيقة الحتمية مجهولةٌ بالنسبة لنا، وهو قَدَر الله –تبارك وتعالى–.

في صحيح الإمام مسلم أن أم حبيبة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم– قالت: "اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قالَ: فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: قدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شيئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شيئًا عن حِلِّهِ، ولو كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِن عَذَابٍ في النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ في القَبْرِ، كانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ".

فالآجال محدودة، والأعمار مُحدَّدة ومُقدَّرة عند الله –تبارك وتعالى–، حقيقةٌ حتميةٌ إلا أنها مجهولةٌ لنا، لا نَعلمها، هل أحدٌ منا يَعلم متى سيموت؟ هل أحدٌ منا يَعلم اللحظة التي تنقضي فيها أنفاسه؟

ربنا –سبحانه وتعالى– جعل الأنفاس مُحدَّدة، رقم من الأنفاس، رقم، صدقوني الأنفاس دي أرقام، احنا أعمارنا بتُقاس بالأنفاس، وكل شيءٍ سيزول، ونحن سنموت وستنتهي حياتنا كما انتهت حياة مَن قبلنا.

ولقد أَحسن مَن قال:

لا شـيءَ ممـا ترى تبقى بشاشتـه ... يـبـقـى الإلـهُ ويَـفـنى المـالُ والـولـدُ
لم تُـغـنِ عـن هُـرمـزٍ يـومًـا خـزائـنُـه ... والخُـلـدَ قـد حـاولَـت عـادٌ فـمـا خَـلَـدوا
كـلَّا ولا سـلـيـمـانَ إذ تجـري الـريـاحُ لـه ... والإنـس والجـن فـيـمـا بـيـنـهـا تَـرِدُ
حـوضٌ هـنـالـك مـورودٌ بـلا كَـذِبٍ ... لا بُـدَّ مـن وِردِه يـومًـا كـمـا وَرَدوا

الموت، الموت لا بد من وِرده يومًا كما وردوا، ولكن مجهول، ربنا -تبارك وتعالى- قال في القرآن الكريم: "إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ" لقمان:٣٤، هذه الأشياء الخمس، خمسٌ استأثر الله -تبارك وتعالى- بعِلمها، ومنها: "وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ" لقمان:٣٤.

في مسند أحمد أيضًا يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: "إن الله -تبارك وتعالى- إذا أراد قبض روح عبد بأرض، جعل له فيها -أو قال: بها- حاجة"، ربنا -سبحانه وتعالى- يعني يهيئ لك كده مشوار أو سفر معين ليقبضك هنالك، فاللهم ارزقنا أحسن خاتمة في مدينة الحبيب محمد -صلى الله عليه وسلم-، واحشرنا في زمرته يا رب العالمين.

فهذه الحقيقة أيها الأحباب، وإذا أراد الله -تبارك وتعالى- أن تغيب شمسك، وتنتهي قصتك، فإذا فَنِيَت أنفاسك، وانتهى قَدَرُك، وانتهى رزقك، وانتهت حياتك، ووصلنا إلى آخر محطةٍ وآخر نقطةٍ في حياتك، أَرسل الله -تبارك وتعالى- إليك رسل الموت، رسل الموت يعني مش مَلَك الموت بس.

تعالوا بنا حبايبي في الله نجلس على فراش مَيّت، تعالوا بنا نحضر موت مَيّت، تعالوا بنا أيها الأحباب نتمثَّل أنفسنا، ونحن الذين تجري معهم هذه الأحداث:

لحظة موت المؤمن:

المشهد كما يحكيه لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حديث البراء بن عازب، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ العبدَ المؤمن.."[١] اللهم اجعلنا جميعًا منهم يا رب، ما هو الناس اتنين: يا عبد مؤمن صالح، يا عبد كافر أو فاجر.

"إِنَّ العبدَ المؤْمن إذا كان في انْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا" خلاص خلصت دنيته، "وإِقْبالٍ من الْآخِرَةِ" خلاص دي أول محطة، الخط الفاصل بينه وبين الدار الآخرة، أول حتة في الدار الآخرة خلاص هيدخل عليها.

"إِنَّ العبدَ المؤْمن إذا كان في انْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا، وإِقْبالٍ من الْآخِرَةِ، نزل إليه من السَّمَاءِ ملائكةٌ" تجيلك ملائكة من السماء، عايزك تتخيل نفسك أنت اللي عايش المشهد ده.

"نزل إليه من السَّمَاءِ ملائكةٌ بِيضُ الوجُوهِ، كأَنَّ وجوهَهُمُ الشمسُ، معهُمْ كفنٌ من أكْفَانِ الجنَّةِ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجَنَّةِ، حتى يَجْلِسُوا منه مَدَّ البَصَرِ"، طيب دول جايين كده فاضيين؟ لا، "معهُمْ كفنٌ من أكْفَانِ الجنَّةِ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجَنَّةِ"، حَنوط يعني إيه؟ أنتم عارفين العطور اللي بتتحط على الميّت جثته بعد ما تتغسّل؟ هو ده، كفن وحَنُوط، منين؟ من الجنة، حاجة بقى مش زي هنا خالص، حاجة مش زي هنا خالص.

عشان كده بقى فيه ناس بتغسّلهم الملائكة، زي حنظلة بن أبي عامر، زي حمزة: "غَسِيلَ الملائكة"، حمزة أسد الله وأسد رسوله، وحنظلة بن أبي عامر، دول الاتنين غسّلتهم الملائكة، كما قال نبينا -عليه الصلاة والسلام-: "رأيتُ الملائكةَ تُغَسِّلُ حمزَةَ بنَ عبدِ المطَّلِبِ، وحَنْظَلَةَ بنَ الرَّاهِبِ"[٢].

---

(١) صححه الألباني.

(٢) حسنه الألباني.

طيب يجلسوا منه مَدّ البصر، ده المشهد، حضرتك على فراش الموت، خلاص ربنا قدَّر أن الحياة تنتهي، فتيجي الملائكة تنزل من السماء وأنت شايفهم، وجوههم بيضاء كأنها الشمس، فيجلسون منك مَدّ البصر، مكان بعيد جدًّا على أقصى الرؤية، طيب الجدران والعوائق؟ مفيش الكلام ده المقاييس اختلفت خلاص، البيت والمكان اللي أنت فيه؛ لأن مفيش أي حد حاسس بيك، مفيش أي حد في الدنيا حاسس بيك، اللي حواليك مش حاسين بيك، ولا أحد يَعلم ما نزل بك إلا الله –سبحانه وتعالى–؛ عشان كده احنا محتاجين نحسِّن علاقتنا بربنا –سبحانه وتعالى–.

"ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ"، يبقى الملائكة تجلس مَدّ البصر، "ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حتى يَجلِسَ عندَ رأسِه فيَقولُ" الخِطاب اللي بيحصل من مَلَك الموت لحضرتك وأنت على فراش الموت أو في موقف الموت، سواء على فراش، أو جالس، أو ماشي.

مَلَك الموت يأتي، يجلس عند رأسه ويقول: "أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيِّب"، إيه الجسد الطيب؟ الجسد الطيب الذي ما كانت عينه تنظر إلى الحرام؛ تقوى لله، الجسد الطيب الذي كان لسانه لا ينطق بالقبيح؛ خوفًا من الله، الجسد الطيب الذي ما كانت تستمتع أذنه إلا بطاعة الله وبالقرآن وبما يُرضي الله...

الجسد الطيب الذي ما كانت تُطاوعه يده على المعصية، ولا رِجله على المعصية، ولا فرجه على المعصية، بل كان جسدًا طيبًا مُطَيَّبًا مُطهَّرًا من الذنوب والآثام، وإن زلَّ فهو على النادر، وسرعان ما يتوب ويعود إلى الله –سبحانه وتعالى–، الجسد الطيب الذي كان يقوم الليل ويصلي، الجسد الطيب الذي كان يصوم النهار لله –تبارك وتعالى–.

"أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيّب اخرجي إلى روحٍ وريحان، وربٍّ غير غضبان"[١]، اخرجي، اخرجي أيتها الروح إلى الرحمة، اخرجي أيتها الروح حيث فضل الله –عز وجل– ورحمته وبِرّه، اخرجي أيتها الروح ولن تجدي من الله إلا كل جميل، اخرجي أيتها الروح وستُنقَلين إلى دار السرور، ستجدين القبر روضة، وستجدين الموقف يوم القيامة رحمة، اخرجي أيتها الروح وسيكون مصيرك إلى جنةٍ في جوار الحبيب محمد –صلى الله عليه وسلم–.

ده تفسير ومعنى كلام مَلَك الموت لروحك قبل أن تخرج، اخرجي أيتها الروح إلى روحٍ وريحان، وربٍّ غير غضبان.

فتخرج بانسيابية وسهولة، "فتخْرُجُ تَسِيلُ كما تسِيلُ القَطْرَةُ من فِيّ السِّقَاءِ"، ماسك كوباية مياه وحاططها تحت حنفية وبتنقّط فيها بشويش كده، بتنزّل مياه بهدوء، اتملت الكوباية، فلما اتملت بدأت المياه تسيل على جدار الكوباية من الخارج بانسيابية وسهولة. نفس طريقة خروج الروح، مفيش فيها أي مشقة.

"فيَأْخذُها، فإذا أخَذَها، لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفَةَ عَيْنٍ، حتى يَأْخُذُوها" مين؟ الملائكة اللي قاعدين مَدّ البصر، وبعدين؟ يصعدون بها إلى السماء إلى آخر المصير.

لحظة موت الفاجر:

طيب والفاجر؟ والفاجر العكس تمامًا –نعوذ بالله–:

"وإنَّ العبدَ الكافِرَ إذا كان في انقِطَاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخِرةِ، نزل إليه من السماءِ ملائكةٌ سُودُ الوجُوهِ"، ملائكة بمواصفات تناسبه، بس هي ملائكة، ربنا جعلها كده تناسب عمل كل إنسان، أنت الملائكة بتوعك هيبقى شكلهم إيه؟

(١) صححه ابن القيم والألباني باختلاف يسير. تجدون الحديث بنصه هنا

احنا عايزين نفكر، يا جماعة في لحظة، الموت يأتي بغتة، أنا عايز أقول فجأة الموت بتبقى حاجة عجيبة جدًّا، شايفين اللمبة؟ تخيل اللمبة دي متوصلة بمفتاح، فيشة كده محطوطة، شدّيت الفيشة انطفت، نفس قصة الروح، انطفت، لا اللي بيبص على حاجة هيلحق يرمش، ولا اللي بيتكلم كلمة حرام هيلحق يقطعها ويسـكت، ولا اللي بيرتكب مُنكر هيلحق يوقفه، في نفس اللحظة؛ ليُبعَث على ما مات عليه كما قال نبينا –عليه الصلاة والسلام–.

والأعمال بالخواتيم، والأعمال بالخواتيم، ويُبعَث المرء على ما مات عليه، إن مات الإنسان على طاعة يُبعث على طاعة، مات على معصية يُبعث على معصية، محتاجين نفكر في نفسنا شوية.

طيب الحل؟ الحل بسيط جدًّا وسهل ويسير:

عند أيّ عمل تَصوَّر أنك ستموت عند هذا العمل، الحل أنك تسمع كلام النبي –عليه الصلاة والسلام–: "حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنوا أنفسَكم قبل أن تُوزنوا"(١)، ده الحل، الحل تقوى الله، الحل التوبة والاستغفار، الحل عمل الصالحات.

نلحق نفسنا، الموت يأتي بغتة، فنختار لنفسنا الصورة التي تأتينا بها رسل الموت، الملائكة التي أرسلها الله –تبارك وتعالى–، كما قال الله: "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ" الأنعام: ٦١، توفته رسلنا اللي هم بييجوا يجلسوا منك مَدّ البصر.

"وإنَّ العبدَ الكافِرَ إذا كان في انقِطَاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخِرةِ، نزل إليه من السماءِ ملائكةٌ سُودُ الوجُوهِ معَهُمُ المُسُوحُ، فيجلِسُونَ منه مَدَّ البَصَرِ"، يا للكآبة والحزن والرعب والهلع والفزع والخوف والقلق، أول لقطة: ملائكة مُرعبة.

إنما التانيين اللي بييجوا لحضرتك إن شاء الله –يا رب ارزقنا يا رب أحسن خاتمة– دول ملائكة بقى وجوههم جميلة، وجوههم كالشمس في بياضها، حاجة جميلة كده، الناس يشوفوك على فراش الموت متبسم، مبتسم سعيد فرحان. إنما التاني كئيب حزين، يعلوه الهم والكرب.

"فيجلِسُونَ منه مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ" الفاجر، "فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إلى سَخَطٍ من اللَّهِ وغَضَبٍ" يا الله! لمثل هذا فليعمل العاملون، لمثل هذا فليعمل العاملون.

اللحظة دي زي ما كان اللي مش عايشين مشهد الموت... زي الحسن البصري لما كان يرجع من جنازة كان يقول لإخوانه: "لقد شهدتُ اليوم مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقى الله"، عمل للحظة دي وهو مش داخل الحدث، مش هو الميّت، مش هو الميّت.

نُقل عن أحد الصـالحين أنه كان يقول: "وددتُ لو أن رجلًا أَرِيبًا نزل به الموت ثم أفاق؛ ليخبرنا عن الموت"، فلما كان هو هذا الرجل وقد أفاق، لسه طبعًا ما دخلش في الموت اللي بجد، لسه ما دخلش السكرات؛ لأن السكرات حاجة تانية خالص هنتكلم بعد شوية عنها، لسه خدته غَشْيَة ثم أفاق، فقالوا له: لقد كنت تقول: وددتُ لو أني رأيت رجلًا أَرِيبًا نزل به الموت ثم أفاق؛ ليحدثنا، وأنت هذا الرجل؛ فحدِّثنا، قال: "أرى أني في تَنُّور" يعني في حاجة ضيقة، "وأنا أخرج من سَمّ إبرة" ثقب إبرة.

شايفين ضيق الموت، وشدة الموت؟ اللهم هَوِّن علينا سكرات الموت يا رب.

طيب ممكن ربنا يحمينا من سكرات الموت، آه، هنشوف، إنما نخلّص قصة الفاجر، يقول مَلَك الموت له: "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إلى سَخَطٍ من اللَّهِ وغَضَبٍ، فَتَفَرَّقُ في جَسَدِهِ" مش زي بقى الروح الطيبة تخرج بانسيابية وسهولة، فتسيل كما تسيل القطرات من فِيّ السقاء، لا، تتفرق في جسده.

---

(١) مشهور وفيه انقطاع.

"فَيَنتَزِعُهَا" فتُنتزَع الروح من الجسد، "كَمَا يُنتَزَعُ السَّفُّودُ من الصُّوفِ المَبْلُولِ" إيه السفُّود؟ السفُّود يا جماعة حديد له شُعَب، تخيَّلوا حتة حديدة كده واحد ماسك ساق حديدية كده ونازلة كده لتحت وفيها شُعَب، يعني إيه فيها شُعَب؟ متفرعة تفريعات، ومحطوطة جوا صوف مُبلَّل، صوف مُبلَّل، وبتتشد كده؛ هتقطع الصوف.

الإحساس ده جوه الفاجر الذي أبَت روحه أن تستجيب لملك الروح؛ فتفرَّقت في الجسد، فتُنتزَع كما يُنتزَع السفُّود من الصوف المُبلَّل، حتى إذا خرجَت "لم يدَعوها في يدِهِ طرفةَ عينٍ حتى يأخذوها" اللي هو المصير السيئ القبيح.

يا الله! يا الله احفظنا يا رب، يا رب ارزقنا حسن الخاتمة يا رب، يا رب ثبتنا على الحق إلى يوم أن نلقاك.

طيب ده شيء مَخفي مفيش حد يعرفه، مفيش حد يَعلَم ما نزل بك، لا يَعلم ما نزل بك إلا الله –سبحانه وتعالى–، الله –سبحانه وتعالى– فقط.

"فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ" الواقعة:٨٣، يقول الله –سبحانه وتعالى–: "فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ" الحلقوم يعني الحَلْق، ثم يقول: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ" الواقعة:٨٥ يبقى مفيش حد حاسس بيك، مفيش حد يَعلم ما نزل بك إلا الله –سبحانه وتعالى–.

الفرق بين المؤمن والفاجر عند الموت:

"كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ" القيامة٢٦:٢٧ إذا بلغت التراقي، الترقوة: العظمة التي تفصِل الصدر عن العنق، إذا بلغَت التراقي، وقيل مَن راق، "وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ" القيامة٢٨:٣٠، لا أحد يَعلم.

طيب الصالح؟ "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا" فصلت:٣٠ وهم على فراش الموت لا تخافوا ولا تحزنوا، تُطَمئنهم، كل ده مفيش حد يعرف أي حاجة عنك خالص، تُطَمئِنهم الملائكة.

طيب العكس؟ "وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ" الأنفال:٥٠، تتوفى الملائكة الذين كفروا، يعني جاية عشان تقبض روحهم، "وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ" الأنفال:٥٠، يا الله!

عارفين لما كنت بقول لحضراتكم الحديث: الروح تأبى؛ فتُنتزع كما يُنتزع السفُّود من الصوف المُبلل، الملائكة لما مَلَك الموت يأمر الروح أن تخرج فتأبى؛ تأتي الملائكة لتضرب وجهه ودُبُره، وجهه ودُبُره، "يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ"، كل ده وهو على فراش الموت في السكرات، في سكرات الموت.

عرفتم قيمة الهداية؟ عرفتم قيمة الإسلام؟ عشان ندعي ربنا يثبتنا على الإسلام حتى نلقى الله، ندعي ربنا بكل ما أُوتينا من قوة أن يثبتنا على الإسلام حتى نلقى الله، وأن يرزقنا أحسن خاتمة، هو ده المخرج.

سكرات الموت:

طيب السكرات، سكرات الموت؟ سكرات الموت شدة شديدة يعانيها الإنسان، السكرات هي غَمَرات الموت وكُرُباته، "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ" ق:١٩، وجاءت سكرة الموت بالحق، جاءت بالحق، يقين، صارت حقيقة، صارت واقعًا.

"ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ" كنتَ تَهْرُب، كنت تَفِر، كنت تبتعد عن الموت، لما تمرض تذهب إلى الدواء؛ خايف من الموت، حينما تجوع تذهب للطعام؛ خايف من الموت، حينما تعطش تشرب؛ خايف من الموت، خايف من الموت، كنت تَفِرّ وتهرب من الموت، أما الآن لا مفر ولا مهرب.

ولقد نزل الموت وسكرات الموت بسيد الخَلق، لما نزلت السكرات وجاءت فاطمة -رضي الله عنها- بنت النبي -صلى الله عليه وسلم- وقالت: وا كرب أبتاه! فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: "لا كَرْبَ على أبيك بعد اليوم"[١]، ونزلت السكرات بالحبيب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حتى أنه حبيبنا -صلى الله عليه وسلم- كان يضع يده في رَكوةٍ بجواره فيها ماء ويمسح جبينه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات، ده النبي -عليه الصلاة والسلام-.

ولما نزلت السكرات بأبي بكرٍ الصدِّيق -رضي الله عنه- دخلت عائشة ابنته -رضي الله عنها- وقالت وهي تُنشِد:

لَعَمرُكَ ما يُغني الثَّراء عن الفتَى ... إذا حشرجَت يومًا وضاقَ بها الصدر

فنظر إليها أبو بكر وقال لها: "يا عائشة لا تقولي ذلك، ولكن قولي: "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ" ق:١٩"، جاءت سكرة الموت بالحق، فالموت سكرات، يُحمَى منها ويُعفى منها الذي يموت شهيدًا، فتسأل ربنا -سبحانه وتعالى-، هو ده الطريق إنّ ربنا يَقِيك سكرات الموت: الشهادة في سبيل الله، الشهادة في سبيل الله.

فهذه الحقيقة الحتمية: الموت، سكراته، غَمَراته، غُصصه، كُرُباته.

أجل أيها الأحباب الكرام، هذا وتَحضُر الشياطين عند الموت لتحاول فتنتك؛ فاحذر، لذلك الإنسان عند الاحتضار نُذَكِّره بحسناته وبخيره؛ ليَثبُت، كما في صحيح الإمام مسلم: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شيءٍ مِن شَأْنِهِ"، ده طبعًا كلام الحديث عام، الشيطان ده حاجة عامة، إنما تخصيص بالموت ليس هناك نَص يدل أن الشيطان يحضر عند الموت، إنما طبعًا وارد؟ آه وارد جدًّا.

وقد تَواتَر النقل عن الإمام أحمد وهو يموت أنه كانت تأخذه الغَشية ثم يفيق، يقول: "لا بَعد، لا بَعد، لا بَعد"، فسأله ابنه عبد الله: لماذا تقول لا بَعد؟ فيقول له: "يا بني، لقد جاء الشيطان ووقف عند رأسي، ويقول لي: يا أحمد لقد فُتَّني في الدنيا، وإنْ فُتَّني اليوم لن أُدركك بَعد"، ويأمره أن يموت يهوديًّا أو نصرانيًّا، ويقول: "لا بَعد، لا بَعد، لا بَعد".

والحل أيها الأحباب الكرام في الاعتصام بالله -سبحانه وتعالى-، في أن نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يُثبتنا على الحق، في أن نتقي الله -سبحانه وتعالى-، في أن نتوب ولا نُسَوِّف التوبة، في أن نستقيم على طاعة الله، وألا نَعدِل عن الاستقامة، ولا نرضى بالاستقامة بديلًا، وإنْ حصلت ذنوب ومعاصي وآثام سُرعان ما نتوب ونبادر بالعودة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

أدعو الله أن يرزقنا وإياكم جميعًا طول العمر بُحسن عمل، بعافية؛ لأن نبينا -عليه الصلاة والسلام- قال: "خيرُكُم مَن طالَ عُمرُهُ، وحسُنَ عملُهُ"[٢]، ونسأل الله مع ذلك العافية، وأدعو الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقني وإياكم أحسن خاتمة، فإنه قد قال: "مَن استطاع منكم أن يموتَ بالمدينةِ فلْيَمُتْ، فإنه من مات بها؛ كنتُ له شهيدًا أو شفيعًا يومَ القيامةِ"[٣].

فحَريٌّ بنا أيها الأحباب أن نشتاق إلى الله، ونشتاق للقاء الله، وقد قال حبيبنا -وأختم بهذا الحديث-: "مَن أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَن كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ.."[٤]، قالت عائشة أو بعض أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-، والحديث في الصحيح من حديث أنس: إنا لَنكره الموت، فقال النبي لها: "..ليسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ برَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فأحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وإنَّ الكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ".

(١) صححه الألباني.
(٢) أشار المحدث أحمد شاكر في مقدمة عمدة التفسير إلى صحته.
(٣) صححه الألباني.
(٤) صحيح مسلم.

أدعو الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقنا وإياكم أحسن خاتمة، وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.